مجلة البدر المجلد 10 العدد 08سنة 2018 ISSN 2170-0796

امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغاربي
"البلاغة والحجاج عند حمادي صمود أنموذجا"

أ/ سونة حسين، باحث أكاديمي حر، المدية، الجزائر.
د/ سليم سعدلي، جامعة برج بوعريريج، الجزائر

الملخص:

لقد شاع في مرحلة فكرية ليست ببعيدة أنّ البلاغة قد استنفذت طاقاتها، ولم يعد بالإمكان إلاّ تلقينها كما جاءت عن الأولين دونما نقد ولا تمحيص ولا إضافة ولا تعقيب. وشاع في حق البلاغة كثير الأقاويل المنادية بموتها، والتي تبايع معارف نقدية ولغوية أن تحل محلها، مثلما شاع القول بأنّ الأسلوبية هي بلاغة المحدثين، وينطبق هذا القول على الفكر الغربي كما ينطبق في الآن ذاته على الفكر العربي، وهذه القضايا التي تثيرها البلاغة الجديدة، في نقلها وتوظيفها في الخطاب النقدي العربي، هو ما دفعنا إلى اختيارها موضوعا للبحث تحت عنوان "**امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغاربي** ". يثير هذا العنوان تساؤلين اثنين الأول: لماذا النقد المغاربي؟ فنجيب عن هذا بقولنا: إنّ البلاغة الجديدة ناتجة عن ظرف حضاري غربي، وبالتالي فإنّ النقل يخضع للفهم العربي، ثم إنما يتم توظيفها وفقاً لذلك الفهم ولا أدلّ على مثل هذا الوضع من مقولة التلقي العربي للبلاغة الجديدة. الثاني: لماذا النقد المغاربي بالتحديد ؟ ونجيب على هذا كذلك بقولنا: إنّ هذا الإشكال موؤود في مهده لسببين موضوعي وذاتي، أما الموضوعي فهو أنّ جل الدراسات العربية في ميدان البلاغة الجديدة هي دراسات لنقاد مغاربة، من أمثال وحمادي صمود مُحَمَّد العمري ومُحَمَّد الولي، وأما الذاتي فهو رغبتنا في الاهتمام بالنقد المغاربي الذي درجنا فيما مضى على تهميشه والاهتمام بالإنتاج المشرقي على حسابه.

المفاتيح: البلاغة ، الحجاج ، امتدادات البلاغة الجديدة ، المكون الحجاجي في البلاغة العربية، بلاغة النص في التراث العربي، بلاغة النص، قياس درجة الإجادة.

Abstract

Misdeeds in an intellectual stage not far the rhetoric has exhausted its energies, and can no longer be only received as it came from the first two without criticism and scrutiny and don't add no trackback. Commonly in much rhetoric right chatter for her death, which assign cash and linguistic knowledge to replace, as commonly argue that the stylistic eloquence is modernist, this applies to Western thought at the same time also applies to Arab thought, these issues raised by new rhetoric, move In a critical discourse, is what prompted us to choose a topic for research under the title "new rhetoric of Moorish Exchange extensions." This raises two issues the first two title: why the Maghreb monetary? The answer to this by saying: the

new rhetoric caused civilized Western circumstance, so the carriage is subject to Arab understanding then but are employed accordingly Teleservices understanding such a situation of "Arab receive new rhetoric.

Second: why criticism of the Maghreb in particular? And answer this as well by saying: this moo'od forms in the bud of objective and subjective reasons, the objective is either to all Arabic studies in the field of new rhetoric studies for Moroccan critics, such as age and Mohamed Mohamed resilience Hamadi guardian, either self is our interest in the Maghreb monetary In the past we marginalize and Levantine production on his account.

تبنى **حمادي صمود** البلاغة العربية والغربية قديمها وحديثها موضوعا للبحث منذ فترة السبعينيات؛ أي منذ ظهور أطروحته (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس) وهي في حقيقة الأمر مشروع قراءة، ويمكن تمييز المراحل النقدية لصمود في اثنتين:

أ-**مرحلة القراءة النقدية:** ومنطلقها هو أطروحته المذكورة آنفا والتي حاول فيها إبراز المكون الحجاجي في البلاغة العربية و الذي، يبدأ حسبه بالفترة التي يسميها "الحدث الجاحظي"؛ حيث يرى أنه (الجاحظ) " كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج والجدل المنطقي بدلا من القتل و العراك، وتعطى لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة و للمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب"[1] إقرارا منه بعدم سهولة العملية الإبداعية و التأليفية، فهي تتضمن إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى، مقاميه واجتماعية ونفسية لخص حمادي صمود أهم مشاغل التفكير البلاغي حتى القرن السادس في ثلاثة أقسام كبرى، هي المفاهيم والمنهج و الإجراء.

أ-1-**المفاهيم**: و"نعني بالمفهوم جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم ماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها، أدق أبعادها الأصولية "[2].

ومن أبرز هذه المفاهيم و أهمها، (الحقيقة / المجاز)الذي يعتبره الباحث "حجز الزاوية في علم يفترض سلفا أن موضوعه يقوم على تجاوز الأنماط المعروفة في استعمال اللغة و يتبع طرائق غير مألوفة في توظيفها الدلالي[3].

كما يرى أن اهتمام النقاد العرب القدامى بالمجاز كان وراء بنائهم لعلم الدلالات بطريقة متطورة وبطريقة عجيبة في نطاق دراستهم لعلم المعاني " عندما تكلموا عن مقاييس العمل الأدبي التي تدخل في إطار المجاز، وعن الدوافع الخطابية في العدول عن الحقيقة إلى المجاز، ومن أهم هذه الدوافع، أداء الدور الذي تعجز الحقيقة عن إصابته"[4] في حين أن ثنائية الفصاحة و البلاغة "تسمح بتحديد ميادين الدراسة الأسلوبية و تكشف عن سبب بلاغة النص وجودته في رأيهم "[5]

وأمّا القسم الثاني وهو المتعلق بالمنهج، أي الأسس والطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها "[6].

ويلاحظ ههنا اختلاف رؤى المدارس النقدية،فهناك"المدرسة الكلامية المهتمة بالمسائل المنطقية الفلسفية ومن أبرز أعلامها الجرجاني وابن وهب، وهناك المدرسة الأدبية التي رجحت الأسلوب و الخصائص الذوقية الفنية على الجوانب المنطقية الفلسفية "[7].

وقد كان لهؤلاء عظيم الأثر في تحديد معالم النظرية البلاغية القديمة من خلال تصورهم لمفهوم النظم الذي حظي بكثير من العناية من قبل عديد النقاد، وإن كان تأصيله يعود لعبد القاهر الجرجاني الذي " أقام تصوره للنظم على أسس لغوية متطورة، قوامها التمييز بين اللغة و الكلام على اعتبار أن الكلام هو الإنجاز الفردي الاختيار الأسلوبي من المدونة اللغوية التي تقوم في أساسها على التواضع"[8]، وعلى هذا التصور يحتل الاعتباط بين الدال و المدلول فيها مكانة، إن النظم عند الجرجاني ليس مجرد تنسيق للألفاظ، بل هو "أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحتفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل مجال و فروقه "[9].

وتجدر الإشارة إلى أن النحو الذي يقصده الجرجاني، ليس ضبط أواخر الكلام فحسب، إنما هو مفهوم يحمل شحنة دلالية فنية أسلوبية؛ حيث يرى بعض الدارسين المحدثين ومنهم أحمد المتوكل "أن فكرة الجرجاني في النظم بين مستويين أحدهما عميق غير منطوق مشتمل على المعاني الدلالية، والثاني سطحي منطوق يتم نظم الخطاب فيه على مرحلتين، الأولى تستبدل فيها المعاني العميقة بألفاظ القاموس، و الثانية تعلق فيها هذه الألفاظ بعضها ببعض حسب قواعد التركيب"5، بحيث تكون البلاغة مع الجرجاني قد دخلت مرحلة جديدة، فالقيمة الأدبية لم تعد مرتبطة بنجاعة النص وتأثيره المباشر في متقلبه لحسن لفظه ووضوح معناه وقربه من الأفهام، بل أصبحت خصوصيات في بناء المعاني تدرك بالعقل والتدبر والتأمل لا بأثر الألفاظ على الأسماع "بمعنى أن عملية فتح النص تتوقف على كفاءة القارئ "وبهذا يضاف الى آراء الجرجاني الرائدة اهتمامه المبكر بدور القارئ"[10].

وأما القسم الثالث في التفكير البلاغي فتناول فيه المقاييس التطبيقية التي حددت بها بلاغة النص وجودته من جهة الشكل و المضمون، ويندرج في هذا الإطار ما للصور الفنية من دور في المقاييس فعناصر الصورة من تشبيه واستعارة تلعب دورا كبيرا في وصف بلاغة النص وقياس درجة الإجادة والإمتاع فيه .

في هذه المرحلة القرائية الأولى لحمادي صمود، "كان هذا الأخير قدم دراسات نظرية وأخرى تطبيقية مثل الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ودراسات في الشعرية، الشابي نموذجا 1988 وكتابه المشترك مع بعض الزملاء النظريات اللسانية الشعرية من خلال النصوص 1988 وفي نظرية الأدب عند العرب 1995 وهي بحوث

ودراسات تدور في معظمها حول قضايا أدبية و لسانية ونقدية و تراثية "[11]، ولكنه كان أكثر ميلا إلى البحوث في مجال الحجاج ابتداء من منتصف السبعينات وهي المرحلة التي لا تزال متواصلة **مرحلة الاهتمام بالحجاج**. ينطلق صمود في هذه المرحلة من اعتباره بلاغة الحجاج " أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم وأكثرها أهمية بالنسبة الينا"[12] لأنها "أهم مظهر تتجلى فيه فاصية التداخل المعرفي interdisciplinarité لأن بلاغة الحجاج تستوعب جميع العناصر المجاورة والتي تساعد في فهم الخطاب و لكون الحجاج "علاقة بين طرفين أو عدة أطرف تتأسس على اللغة والخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا "[13]، وأما العوامل المساعد على تحقيق هذه الغايات فهي متعددة، منها ماهو متعلق بالمتكلم ومنها ماهو متعلق بالمخاطب ومنها الخاص بالمقام ومنها ماهو الغالب و الأعم، ما يأتي من اللغة ذاتها، لأن الحدود بين اللغة و الفكر غير قائمة ولذا كانت اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المخاطب من موقفه, ولذا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة وهي :

البصر بالحجة، والمقصود بها حسن الاختيار والنقاط المناسبة بين الحجة والسياق في صورتها المثلى حتى يسدا المتكلم السبيل على السامع فلا تجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن دائرة فعلها. وأما القسم الثاني فهو تركيب الأقسام؛ أي ترتيب الحجج إلى أختارها المتكلم بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب بحيث يمنحها الفاعلية فللمقدمة بناؤها الحجاجي, وللمتوسط كذلك لغته وحججه، وكل ذلك يصب في الخاتمة التي ينبغي أن تخلص كل ما يسبق في لغة قوية متلاحقة مختصرة تدفع السامع إلى إنجاز مضامين الخطاب أو الوقوف موقف إيجابيا منها على الأقل وأما القسم الثالث، فهو العبارة؛ حيث يتبع اختيار الحجج وترتيبها اختيار الأسلوب الأمثل لحمل تلك المضامين الخطاب أو الوقوف موقف إيجابيا منها على الأقل وأما القسم الثالث فهو العبارة؛ حيث يتبع اختيار الحجج وترتيبها, اختيار الأسلوب الأمثل لحمل تلك الضامين وتوصليها في أتم صورة "فلاعجب أن يلقى هذا القسم أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على الحساب أقسام أخرى ما ساعده في فترة معينة على تماهي الحدود بين الخطابة والأدب"[14].

كما يعتقد صمود أن الخطابة اليونانية من حيث نشأتها والحاجة إليها وكذا التغيرات التي لحقت بها تختلف بصفة جذرية عن الظروف التي نشأت فيها البلاغة العربية, فالخطابة اليونانية في نظر أرسطو، تقع في منطقة وسط بين الجدلي والشعري؛ أي أن مجال تكونها مبنية على الحجاج القائم والترجيح من بين الآراء المتعددة التي يشجع فضاؤها على تواردها، فيكون الموقف متواصلا بين الآراء والأطروحات والتي تظهر بين حين وآخر في حين أن البلاغة العربية "ظهرت في أحضان الشعر"[15] وتفوق الشعر مبني على إيجاده القول والتصوير وحسن الإيقاع بما يجلب الأسماع ويطرب السامعين. مأتى الإعجاز, إرجاعه إلى "الشكل وهيئة التصاريف الكلام، ولم يدر بخلدهم

أن يأتي إعجاز القول أيضا من الحجج التي يبينها والسياسة التي ينتهجها للتظافر مع الشكل والهيئة فيبلغ النص من سامعه قصيدة"[16]، ويستغرب أيضا عند تطرقه إلى البيان والتبيين باعتباره من أعظم النصوص المؤسسة للبلاغة العربية والذي كتبه الجاحظ من منطق حجاجي مناظراتي يهدف إقامة بلاغة للحجاج، فرضتها ظروف العصر المتمثلة في الصدعات الذهبية والفكرية فيرى الباحث أن الجاحظ يهتم بأطراف العملية الخطابية من متكلم وسامع ونص، ويجده يذكر وظائف الخطابة ومنها "الاحتجاج على أرباب النحل و"البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة " لأن " سياسة البلاغة أشد من البلاغة وعلى الخطيب أن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبقهم بها "[17].

لكن الغريب في ذلك أنه "لم يبق من هذا الفكر المؤلف بين رافدين كبيرين في دراسة الكلام هما الرافد الخطابي والرافد الشعري. إلا المقاييس المتعلقة ببلاغة النص من جهة ما فيه من حلية و زينة وشكل "[18]، كما يتطرق، صمود إلى الجرجاني، فيذكر أنه تميز بنزعته الجدلية في دفاعه عن الأشاعرة، والذي كان يمكن لكتابه دلائل الإعجاز أن يصبح فرصة الثقافة الإسلامية لدراسة الخطاب في أبعاده الاستدلالية المنطقية، لكنه لم يتجاوز تلخيص الأدلة الدالة على الإعجاز القرآني ومحاولة التوفيق بينها في إطار نظريته في النظم .

وبمرور الزمن صارت البلاغة العربية صناعة للزينة والتباهي والزخرفة اللفظية وهكذا ستعيش البلاغة العربية طيلة تاريخها باعتبارها احتفاءً بالشكل وتغيبا له في الوقت نفسه، اهتماما بالصياغة واللغة وحرصا شديدا على وضوح المعنى"[19] ولعلّ السبب المنهجي الذي جلب الباحث إلى هذا التمييز بين البلاغة العربية ومفهوم الخطابة الأرسطية، وهو الخوف من الوقوع في الأخطاء القرائية التي وقع فيها بعض الدارسين المحدثين عند دراسة العلاقة بين البلاغة والأسلوبية؛ حيث رأوا أن التحول الذي طرأ على المباحث اللغوية منذ أوائل القرن العشرين أدى بالبعض الى استخلاص علم جديد منبثق عن اللسانيات سموه الأسلوبية "[20]، وهنا يسجل الباحث استغرابه أيضا من كون "معظم النقاد قد اقتنع بأنها العلم المؤهل ليحل محل المباحث البلاغية التي يحتضها علم الخطابة الميتة "[21]. وعليه غدت الأسلوبية في نظر هذه الدراسات نقطة تقاطع الأدب واللسانيات و الخطابة، ولعلّ ما تحدى هذا الالتباس اهتمام هذا العلم بالقسم الأهم من أقسام الخطابة الذي هو العبارة، فكان ذلك مدعاة إلى اعتبار الأسلوبية والخطابة حقلين متطابقين أصنف إلى ذلك أن ما سجل من المحاولات التي تطمع إلى إعادة قراءة البلاغة الأرسطية تحت عنوان الخطابة الجديدة، قد اهتمت بالأساليب والآليات الكفيلة بإقناع المخاطبين ودفعهم إلى تغيير مواقعهم بما يخدم أطروحات النص، وهذه المحاولات هي الأخرى بعيدة في توجهاتها البحثية عن المشروع الأسلوبي ويتساءل صمود عن السبب الذي لأجله اعتبرت الأسلوبية خطابة جديدة معتبرا أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة لأنها "تتطلب مراجعة التطورات التي طرأت على البلاغة الأرسطية من جهدها إلى اليوم ثم النظر من جهة ثانية فيها طرأ على السياق العام من تغيرات وعوامل أدت إلى بعث البلاغة من جديد"[22].

فهو يرى أنّ الخطابة الأرسطية قد انحصرت منذ وقت مبكر؛ "حيث تخلصت من أقسامها المتعلقة بالمشافهة كتمثيل القول والذاكرة ثم امتد الانحسار ليشمل بعض الأجناس الخطابية الكبرى مثل اختفاء الجنس المشاور deliberati عندما انحسرت الديمقراطية اليونانية "[23]. ثم إنّ حضور البلاغة الشعرية، بشكل بين بعد هذا الانحسار، شجع الخطابة على اقتراض بعض من مقومات البلاغة الشعرية بهدف الوصول إلى المخاطبين وهو الأمر الذي وجه النص الخطابي خاصة والبلاغي بشكل عام إلى فضاء لحشد المحسنات "وفي مرحلة لاحقة تقاسم النحو و الجدل و الخطابة وحدات الدرس اللغوي البلاغي، ولم يبق للخطابة بعد ذلك إلا قسم العبارة "[24].

يقول صمود:"مما يجب الانتباه إليه و التفكير فيه أن فعل التضييق لم يقف عند هذا الحد وإنما تواصل في العصور الحديثة فرأينا الوجوه والمجازات تضبط في عدد محدود من العلاقات و المبادئ واشتهرت منها ثلاثة هي: علاقة الشبه البانية للاستعارة، وعلاقة المجاورة أو الاردان البانية لنوع من المجاز المرسل وعلاقة التقابل وتبني السّخرية والتهكم"[25].

ويشير صمود إلى الدور الكبير الذي صارت تلعبه علاقتا الشبه والجوار في نظرية الشعر عند جاكبسون، وكذا في بروز فكرة البلاغة المهمة، إلا أن هذا العصر، ومع ذلك الدور الكبير، وعلى إثر انفجار الثورة التقنية التواصلية، كان لا بد له من انتقاء سبل ناجحة للتعبير عن ذاته بمختلف تقلباتها وحركيتها، فالتطورات المهمة التي مست جوهر حيات الإنسان حتمت التوسل في بعض هذه التطورات بالآلة البلاغية اللغوية لتحقيق أهداف معينة ومن أهم هذه التطورات "غرس الحاجة؛ حيث لا حاجة، وإغواء الناس بالإقبال على السلعة بما يستحدث فيها من تطورات إما في مظهرها أو في فاعليتها وهي تطورات مفتعلة ولكنها تقدم في صورة مقنعة، فدخل العصر في بلاغة الإشهار مما فتح الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة التأثير والإقناع في صيغة لم تعرفها من قبل "[26]، فصارت هناك "بلاغة ناجحة تتحكم في أذواق الناس، وتوجيه اختياراتهم الشكلية والمضمونية وأصبحت لهذه البلاغة مؤسسات علاقة متخصصة في هذا النوع من الخطاب ألإشهاري والموضوعي المعاصر"[27]، معتمدة ومتعمدة، في ذلك "أساليب مختلفة تقوم على بلاغة الصورة المرئية المبنية غالبا على فكرة استعارية يشارك المتلقي (المشاهد) في فكها و فهمها ليكون اقتناعه بمضمونها أكبر"[28].

فعادت، مع ذلك، الخصاص الخطابية بفضل أشكال الرعاية، خاصة منها السياسية والاقتصادية، يقول صمود: إن أهم آلية خطابية وبلاغية اليوم هي الثورة الاتصالية والمعلوماتية وليست العولمة في أبعادها الاقتصادية والثقافية إلا وجها من الوجوه البارزة للخطابة الحديثة؛ حيث يقع تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي والغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه و إحلال ما نريد نحن مكانه بتحريك الإعجاب بما نعرض عليه أو نخلق الصدمة أو الفتنه أو الإقناع "[29].

لم يكن لهذه الطفرة البلاغية أن تتحقق "لولا البنية المرنة للبلاغة من جهة وبفضل الخاصية الاحتمالية الخلافية، التي تعد أهم مميزاتها والتي منحت الخطاب البلاغي انفتاحا على كل العلوم المجاورة وكذا على التأويل وإعادة الإنتاج من جهة ثانية "[30].

استنادا إلى كون الخاصية الاحتمالية من أهم عناصر الحجاج، يتساءل الباحث عن إمكانية كون البلاغة حجاجا في جوهرها ؟ وهو يجيب بنعم حين يذكرنا بأن البلاغة العربية " ظلت لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة، والأسلوب ولم تعمل على توسيع وتحليل المحاولات التي تناولت الحجة والرهان منذ الجاحظ حتى الجرجاني، لكنه يرى أن إعادة قراءة هذا التراث كفيلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعر وآخر لبلاغة الحجاج لان البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات معينة نجمت عن سياقات فكرية ومذهبية واجتماعية بالغة الخصوصية "[31]، وهذا ما يجعل تعدد القراءات أمرا مشروعا من زاوية نظر مختلفة لا تركز على الأسلوب والعبارة فحسب" وإنما على تلك الجوانب التي ظلت مسنية وذلك من خلال توظيف نتائج الدراسات اللسانية التداولية و بلاغة الخطاب التي تهتم بالمخاطب وبآليات تحريكه والتأثير عليه"[32]، في تحليله لنص تراثي لأبي حيان التوحيدي يرى الدكتور صمود، في إطار ما سبق ذكره "كثرة المصطلحات المستعملة الجارية اليوم في الدراسات الحجاجية و انتباهه إلى مناهج الاحتجاج وسبله "[33]، مثل مفهوم "الاستدراج" في هذا النص (نص أبي حيان) بوصفه دالا على "المخادعة "التي أصبحت تعد "من لغة وصف بلاغة الخطاب وما يقوم فيها من صنوف الحيل للإيقاع بالمخاطب "[34].

فالعملية الحجاجية شبيهة بالصراع، ولذا تغلب على مفاهيمها تعابير القوة، الحيل الخديعة الاختراق التفكيك، الدعم، الاستدراج، التضليل، الانتصار، الهزيمة الإذعان التسليم وغيرهاو يعتبر مصطلحا الإذعان والتسليم من أهم المصطلحات التي تنظر في جدوى الخطاب و قدرته على التأثير في الجمهور في سياق معين كما أن للجمهور والسياق دور "أساسي في تحديد نوع الخطاب ونوع المسائل التي يستدعيها لتحقيق وظيفته لذا كانت قوانين هذه البلاغة متحولة ومتغيرة بتغير أطراف الخطاب وسياق تلفظه والمقاصد التي يراد بلوغها "من خلال دراسة حمادي صمود لنص ابي حيان التوحيدي المأخوذ من المثل السائر، يلاحظ "بأنه يخرج عن إطار التصور الذي ذكر أن البلاغة العربية ترددت فيه لتصبح البلاغة فيه بلاغة خطاب لا بلاغة جملة أو كلمة وذلك من خلال اهتمامه بخفايا الخطة البانية لأقضية الحجاج"[35]، وعليه فالكاتب لا يكون كاتبا إلا حين يستطيع التمكن من ناصية اللغة والتصرف فيها بالدرجة التي تمكنه من التأثير في مخاطبيه .

كما يلاحظ استعمال التوحيدي، لفظ "الاحتجاج" منبها الى منهج التقسيم المتبع إمعانا في المخادعة حتى يستطيع لمبدع إخراج القول على غير الاعتقاد لغاية في نفس المتكلم هي "تنويم "المخاطب وتسكين هواجسه حتى يطمئن وتغفو شكوكه ويسترخي تيقظه فيستسلم إذا يستسلم "[36]. ويشير منبها إلى أن من يفطن إلى الخدع

النصية ليس إلا المتمدرسون بعد الروية والتدقيق أي أن أبلغ الخطابات تأثيرا هي تلك التي تبدو في الظاهر بريئة مؤسسة على سلامة النية بينما هي في حقيقة الأمر تمد شراك سهولتها الظاهرة لتصطاد المخاطب وتجعله يقتنع بمضمونها، ولكن الحجاج في هذا النص وعلى الرغم من ذلك كله، يظل وفيا لواقعه الذي نشأ فيه متناسبا معه، وذلك لا يمكن وضعه في مصاف الدراسات الحجاجية المعاصرة لأن "الحجاج اليوم يريد أن يقنع بأهمية لا من جهة أنه منهج لدراسة نصوص الخلافيات والمناظرات، فهذه مواطن مهيأة لتنتج هذه المخاطبات وإنما من جهة أنه يوجد الحجاج في صلب اللغة، وفي العادي من الكلام مما يدور بين الناس في مبادلاتهم اليومية "[37] وينتهي النص إلى أن بلاغة الخطاب تتحقق بما فيه من أبنية حجاجية وأساليب للتأثير على المخاطب، وهو مايعتبره صمود كفيلا باعتبار البلاغة في مفهومها العام حجاجا، دون إهما لخصائص أخرى متعلقة بنية الحجاج .

يلاحَظ أن صمود، باعتباره من أبرز الباحثين في البلاغة المعاصرة قد اهتم اهتماما بالغا بآليات هذا الحقل، بغية قراءة البلاغة العربية القديمة أملا في استخراج أهم مقولاتها التي يمكن أن يكون لها إسهام في الدراسات النقدية المعاصرة على المستويين النظري والتطبيقي، كما يلاحَظ أيضا أنه يحاول دراسة راهن ومستقبل الخطاب الأدبي الذي يشهد تغيرات جمة في ظل ثورة التواصل وتقنيات الصورة فهذه الثورة كفيلة تجلت مفارقات على مستوى الأدب والفكر والخطاب والحراك الاجتماعي والحضاري، وتواكب مختلف الجانب المتعلقة بالفرد ومن ثَمَّ فهي تنتشر بوتيرة أسرع من وتيرة البنيتين العقلية والاجتماعية للإنسان.

فالبلاغة بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة، عند صمود، لا يقفان على دراسة آليات التأثير والتأثر بل تتجاوز ذلك لدراسة التغيرات التي جدت والتي يمكن أن تجد على ثنائية النص والخطاب في علاقاتهما بالواقع والمخاطبين من جهة وعلاقاتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة من جهة ثانية.

الهوامش:

[1] – محمد سالم أمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص 272.

[2] – حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس، ط2، منشورات كلية الآداب، منوبة ص39 .

[3] – م، ن، ص 39.

[4] – ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 273.

[5] – حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس، ط2، منشورات كلية الآداب منوبة ص 433.

[6] – حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 393.

[7] – ينظر: محمد سالم أمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 274.

[8] – م، ن، ص 274

[9] – عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة فى علم البيان، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2001، ص 569.

[10] – محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 275.

[11] – م، ن، ص 275.

[12] – حمادي صمود، في تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر و التوزيع ط 1999، ص 8 .

[13] – م، ن، ص65.

[14] – محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص .277

[15]– م، ن، ص ن.

[16]– م، ن، ص ن.

[17]– حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص .112

[18]– محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص278.

[19]– م، ن، ص ن.

[20]– م، ن، ص ن.

[21]– م، ن، ص ن.

[22]– م، ن، ص ن.

[23]– محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 277.

[24]– م، ن، ص279.

[25]– حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 131.

[26]– محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 280.

[27]– ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 280-281.

[28]– ينظر: م، ن، ص 281.

[29]– حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 134.

[30]– ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 281.

[31]– م، ن، ص 282.

[32]– م، ن ، ص ن.

[33]– حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 95.

[34]– م، ن، ص ن.

[35]– حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 95.

[36]– ينظر: م، ن، ص 93.

[37]– محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 283.